قراءة في مخطوط: "الدرة المرضية في الطرق العشرية" لمؤلفه الشيخ: أحمد بن حمودة أبي العباس السنّان التونسي

Reading in a manuscript: "Addorra Lmardhya fi Attoroq Al Ashria" For his author Sheikh: Ahmed bin Hamouda Es'Senan

د. حمزة عواد

جامعة وهران1

hachimmy@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/04/29، تاريخ القبول 2019/05/11

الملخص: يتناول هذا المقال حديثا عن علم القراءات، وعلى وجه الخصوص، القراءات العشر النافعية، المسماة بالعشر الصغير، أضأتُ به عن جانب من جوانبها، وكشفت عن محل من محالها، إذ أبنت عن وجودها بأرض تونس، من خلال مخطوط أقوم على تحقيقه، فيه دلائل على أن المغارب من أدناها إلى أقصاها، لم تزل بينها روابط الإخاء العلمي، ووشائج الاتصال الروحي، بإحياء علوم كادت أن تندثر، ومؤلفات أوشكت لو لا لطف الرحمن أن تنمحي، فأعربت عن منهج العلامة أحمد بن حمودة السنان شيخ الإقراء والقراء بتونس، في كتابه الموسوم بالدرة المرضية في الطرق العشرية، ورفعت معالم أضاءت في حياته وترجمته على قد الحال، دون بلوغ المحال.

الكلمات المفتاحية: القراءات العشر؛ الطرق النافعية؛ تونس؛ السنان؛ الدرة المرضية؛ مخطوطات.

Abstract:

This article deals a talk about ilm Qiraat, in particular the ten Nafias, known as the Al ashr As sagheer. I shed light on one aspect of it, and explored it.

A manuscript I am studying shows That the Grand Maghreb from East to West is still bound by scientific brotherhood, and links of spiritual communication, reviving knowledge that was vanishing , and came close to been lost but which was protected by Allah SWT. So I adopted the approach of Allama **Ahmed bin Hamouda Es'Senan** Sheikh of Qiraat in Tunisia, from his book described as "**Addorra Lmardhya fi Attoroq Al Ashria**". I brought up the salient influences that illuminated his life and interpreted them as Best I could, entrusted in Allah.

Keywords: Qiraat; ten Nafias; Tunisia; Es'Senan; Addorra Lmardhya; Manuscripts.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

دأب العلماء من لدن السلف الصالح وإلى يومنا هذا على تبيين العلم، وتبليغ الهدى للناس، مخلصين راجين الثواب من الله تعالى، فظلت رحم الأمة ولودا، تنتج كل عام فئاما من أدلاء الخير، العارفين بالعلوم على اختلاف أصنافها، الغائصين في أعماقها، الكاشفين عن دررها، بما يجلي للناس عامة أمور دينها، ولأهل العلم خاصة ما يتعلق بحاجتها.

ولقد كان مغربنا على تباعد أقطاره، وتعدد أمصاره، مهوى أفئدة العلماء، ومقصد الفضلاء النجباء، ظهر من أهله أخيار، وتفتقت فيه مكاسب العلماء النظّار، وطارت في الآفاق كل مطار.

ومن أهم العلوم الربانية التي حفظها علماؤنا علم القراءات على اختلاف موارده، فبزوا فيه أهل المشرق ودانوهم، بل وسبقوهم، ويكفي في الفخر الإمامان الداني والشاطبي، فضلا عن أبي حيان وشيخه ابن مالك، رحم الله الجميع.

وممن تأخر عن أولئك في الزمان، ولم يند عنهم في المكانة والمكان، الشيخ أبو العباس السنان، الذي يسر الله لنا بحفظه الوقوف على أحد مؤلفاته في العشر النافعية، وإنه لذو قيمة علمية جليلة، إذ أوثق صلة الخلف بالسلف في هذا الميدان.

إشكالية البحث:

أرغب في هذه الدراسة عرض نبذة تاريخية عن هذا العَلَم، الذي عُرف بأنه شيخ الإقراء بالديار التونسية في عصره، وأظهر القيمة العلمية لكتابه الموسوم بـ: الدرة المرضية في الطرق العشرية.

الدراسات السابقة:

هذا المخطوط لم يدرس، ولا أظن أحدا كتب عنه، ولعل أهل تونس أنفسهم لم يظفروا بنسخة منه، فإنهم على كثرة ما ترجموا لعلمائهم لم يذكروا هذا المؤلف في كتبهم، ولا أشاروا إليه في فهارسهم، وإنه لأمر عجيب، وقد يسر الله لنا الوقوف على نسخة له، فنحن نعرضها هاهنا، ونكشف عن خباياها.

خطة البحث:

أودعت هذه الدراسة مبحثين جعلتهما بين مقدمة وخاتمة.

فذكرت في المبحث الأول ما يتعلق بأبي العباس السنان مما أفاده مترجموه، وحاولت الوقوف على سيرته قدر المستطاع، فعنيت بنشأته ووظائفه، وجمعت ما تفرق حول شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته. وفي المبحث الثاني قمت برصد ما تضمنه الكتاب بين جنباته من أجل إطلاع الناس عليه، وإيقافهم على درّه، فأبنت عن وصف نسخته وذكر منهجه، وأفصحت عن مصادره، وغير ذلك مما يرى في موضعه.

هذا، وقد بذلت الجهد من أجل بلوغ الهدف، والكمال لله سبحانه، فأسأل الله التوفيق والسداد، فيما نفعل ونذر، وأسأله سبحانه أن يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه عزيز كريم، رؤوف رحيم.

المبحث الأول: التعريف بصاحب المخطوط.

لم تسعفنا المراجع التاريخية بكبير ترجمة للمؤلف رحمه الله تعالى، إذ يبدو الأمر عاما مع علماء تلك القرون التي كثر فيها تطاحن الأمراء والملوك على السلطة، فأريقت فيها الدماء، وعني المؤرخون بسرد تفاصيل تلك الأحداث السياسية دون غيرها مما يتعلق بحياة العلماء وغيرهم.

غير أنه ومن فضل الله علينا أن حفظ لنا شيئا يسيرا عن المؤلف، مما يمكن أن يستأنس به عن ترجمته، في بعض كتب التاريخ، إضافة إلى بعض الإجازات القرائية التي حضر فيها اسمه رحمه الله.

اسمه ونسبه:

هو العلامة المقرئ الشيخ: أحمد بن حمودة أبو العباس السّنّان التونسي، كذا جاء اسمه في المصادر التي ترجمت له[1]، وجاء في المخطوط الذي بين يدينا سواء على طرته، أو في مقدمته: «أحمد السنان» هكذا، دون ذكر لاسم أبيه.

بينما أورد بعضهم قولا آخر في اسمه فجعله محمدا[2]، ولم أقف على شيء من ذلك، وكأني به رآه في بعض الإجازات له.

(1) كتاب العمر 2/ 343، وإتحاف أهل الزمان 7/ 148.

(2) طبقات القراء والمقرئين بإفريقية وتونس 347.

أما الكنية فكل المصادر أعلنت أن كنيته أبو العباس، وهو العرف فيمن سمي بأحمد من السلف والخلف، إلا إجازة شيخنا الحسن ماديك[1] فكني فيها بأبي عبد الله، ولا أشك أنه وهم.

نشأته ووظائفه:

لم توافنا المصادر بمراحل نشأة هذا العَلَم، ولا بحياته، فلم نجد فيها سوى اقتضابات وإشارات خفيفة، لا تسمن ولا تغني من جوع، مما ينبئ عن غمط لحق كثير من المغاربة، سواء في أنفسهم أو في أهل بلدانهم.

ومما وقفنا عليه مما يتعلق بصاحبنا أشياء نجملها في النقاط الآتية:

- مولده في مدينة تونس، فهو «من أبناء الحاضرة»[2].
- تعلم بجامع الزيتونة[3]، وحصلت له ملكة العلم[4]، وبرع في علم القراءات والتجويد[5].
- تفرغ لتعليم القرآن، حتى صار معلم القصر، وتأدب على يديه آل بيت أمير البلد الباي حمودة باشا[6]، فعلم أولاده وأهله وحاشيته، ومن بينهم الباي أحمد باشا[7] بن مصطفى باشا الذي كان فيما بعد أحد أمراء تونس، وعلم مماليكهم أيضا[8].
- تقدم للإمامة في جامع المهراس[9] للصلوات[10].
- تم تعيينه خطيبا لجامع أبي محمد الحفصي[1] مدة حياته[2].

---

(1) ينظر: https://vb.tafsir.net/tafsir22733/#.XMW2R4lKjIU

(2) كتاب العمر 2/ 343

(3) المصدر نفسه.

(4) إتحاف أهل الزمان 7/ 148.

(5) كتاب العمر 2/ 343.

(6) قام كتاب إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف على التعريف به وبأسلافه وخلفائه وأهل دولتهم الحسينية، وأعلامها، بتفاصيل يقل نظيرها، وينظر لترجمته 3/ 15 وما بعدها.

(7) ينظر لترجمته إتحاف أهل الزمان 4/ 19 وما بعدها.

(8) إتحاف أهل الزمان 7/ 148.

(9) جامع المهراس: يقع في شارع الكنيسة [نهج جامع الزيتونة حاليا] وهو من مساجد تونس القديمة التي لا تقام بها صلاة الجمعة، تولى الإمامة به أئمة أعلام. ينظر تاريخ معالم التوحيد 248.

(10) المصدر نفسه، وكتاب العمر 2/ 343.

- صار شيخ القراء في وقته[3].

خصاله:

وُصف الشيخ أحمد السنان رحمه الله بأوصاف جليلة، مناقب جميلة، تنمّ عن فضل وخير، منقطع النظير، منذ نشأته، وإلى حين ساعته، ولقائه بربه:

- فنشأ في عفاف وصيانة، ومروءة وأمانة.
- وكان فاضلا عفيفا، خيّرا تقيا، متواضعا، تلوح عليه أنوار السعادة.
- وكان الباي أحمد باشا يحسن الثناء عليه.
- وكذلك سائر أهل القصر ،كلهم يثنون عليه، ويذكرونه بإجابة الدعاء.
- وكان معظما عند أهل زمانه، يلتمس منه الدعاء[4].

شيوخه:

صرح المؤلف أنه قرأ على عدة من الشيوخ، لكننا لم نجد في ترجماته ذكرا لواحد منهم، ولا وقفنا على إجازاته، ولا على الأثبات التي روت أسانيده، لننقل منها، وإنما اتصلت إلينا بعض الأسانيد من طريقه، فاستطعنا من خلالها معرفة أهم شيخ له، وهو:

الشيخ حمودة بن محمد بن إدريس الشريف الحسني: وصف في الإجازات والأسانيد بشيخ الإقراء في تونس، توفي سنة 1178هـ، قرأ القراءات على سلفه شيخ الإقراء بتونس أبي عبد الله محمد الحرقافي الصفاقسي المتوفى سنة 1154هـ[5]، تلميذ الإمام أبي الحسن علي النوري الصفاقسي صاحب غيث النفع في القراءات السبع المتوفى سنة 1118هـ[6].

(1) جامع أبي محمد: يقع في مدخل نهج الحلفاويين من ربض باب السويقة، تاريخ معالم التوحيد 148، وينظر أيضا 126.

(2) كتاب العمر 2/ 343، وإتحاف أهل الزمان 7/ 148.

(3) كتاب العمر 2/ 343. وإجازة الشيخ ماديك https://vb.tafsir.net/tafsir22733/#.XMW2R4lKjIU

(4) ينظر لذلك: إتحاف أهل الزمان 7/ 148.

(5) شجرة النور الزكية 344

(6) ترجمته في: شجرة النور الزكية 321، وتراجم المؤلفين التونسيين 49/5 -62.

ومن أقران السنان الذين قرؤوا أيضا على الشيخ حمودة: الشيخ أبو عبد الله محمد المشاط الأندلسي (ت1250هـ)[1]، والعلامة القاضي عمر بن قاسم أبو حفص المحجوب (ت1221)[2]، وغيرهم.

تلاميذه:

وكالشأن في شيوخه فإننا لم نقف من تلاميذه إلا على ما جاءت به أسانيد الإجازات[3]، وهو:

- محمد بن محمد أبو عبد الله الستاري الحنفي التجاني، كان من كبار علماء الحنفية في عصره، واشتهر في فن القراءات والتجويد، وأخذ عنه كثير من العلماء، وكان له اتصال بالمشير الأول أحمد باشا، توفي سنة 1270هـ[4].

- وقد مر أن الباي أبا محمد حمودة باشا اصطفاه «لتعليم القرآن لآله، الذين منهم المشير الأول أبو العباس أحمد باي.»[5]، فيكون الباي أحمد باشا أحد تلاميذ المؤلف، حيث أخذ عنه الأدب والقرآن.

مؤلفاته:

لم نقف له إلا على كتابين:

- كتابنا هذا الذي بين أيدينا وهو: «الدرة المرضية في الطرق العشرية». وسيأتي إثبات كونه له في المبحث القادم.

- وكتاب آخر ذكره له حسن عبد الوهاب، وهو: «حلية العروس وبسط النفوس»، وقال عنه: «رسالة حافلة في التعريف بفن الموسيقى والألحان، ينقل فيها عن الفارابي وغيره، ... منها نسخة بمكتبتي الخصوصية.»[6].

وفاته:

---

(1) شجرة النور الزكية 415، وينظر ترجمته في إتحاف أهل الزمان 8/ 19.

(2) ينظر: مقال أسانيد القراءات المتواترة في تونس للدكتور فتحي العبيدي، على ملتقى أهل التفسير:
https://vb.tafsir.net/tafsir35823/#.XMS-BolKjIU
وذكر أن إجازته له موجودة بدار الكتب الوطنية بتونس برقم 13949، وينظر ترجمته في إتحاف أهل الزمان 7/ 52.

(3) غاية المسرة 42، الإعلام بسندي إلى بعض الأعلام 14.

(4) فتح الملك العلام 372.

(5) اتحاف الزمان 7/ 148.

(6) كتاب العمر 2/ 343- 344.

توفي الشيخ رحمه الله في منتصف شهر صفر من عام 1243 ثلاث وأربعين ومائتين وألف، الموافق لشهر سبتمبر 1827م[1].

المبحث الثاني: التعريف بالمخطوط:

المخطوط عبارة عن كتاب صغير الجرم، كبير الفائدة، يتعلق بموضوع مهم من موضوعات علم القراءات، أعني العشر النافعية، وهي الروايات المروية عند المغاربة لقراءة الإمام نافع المدني من طرق عدة، تبلغ العشرة.

وذلك أن المغاربة اختصوا بالعناية بقراءة الإمام نافع رحمه الله تعالى، وأبلغوا في الحفاظ عليها وروايتها، حتى فاقوا بها أهل البلاد الإسلامية عبر الأزمان، وإلى يومنا هذا، وعُمدتهم في ذلك كتاب «التعريف في اختلاف الرواة عن نافع» للإمام أبي عمرو الداني.

وحتى نختصر معنى قولنا «الطرق النافعية» ندع الإمام الداني رحمه الله يعرفنا بها في هذه السطور:

قال رحمه الله: «أذكر ... الاختلاف بين أصحاب أبي عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم رحمه الله، الذين أخذوا القراءة عنه مشافهة، وأدوها إلى الناس حكاية، وهم أربعة: إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري، وإسحاق بن محمد المسيبي، وعيسى بن مينا قالون –المدنيون–، وعثمان بن سعيد ورش المصري، وأذكر عن كل واحد منهم روايتين، إلا عن ورش وقالون، فإني أذكر عنهم ثلاث روايات، فيشتمل الكتاب على عشر روايات عنهم عن نافع.

فأذكر عن إسماعيل رواية أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، ورواية أحمد بن فرح المفسر، وكلاهما عن أبي عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي الدوري النحوي عن إسماعيل.

وأذكر عن المسيبي رواية ابنه محمد بن إسحاق، ورواية محمد بن سعدان النحوي.

وأذكر عن قالون رواية أبي نشيط محمد بن هارون، ورواية أحمد بن يزيد الحلواني، ورواية إسماعيل بن إسحاق القاضي.

وأذكر عن ورش رواية أبي يعقوب الأزرق، ورواية عبد الصمد بن عبد الرحمن، ورواية أبي بكر محمد بن عبد الرحيم الأصبهاني.

---

[1] إتحاف أهل الزمان 7/ 148، كتاب العمر 2/ 343.

وهذه الروايات هي المشهورات عن هؤلاء الأربعة، وبها يأخذ كل أهل الأداء في جميع الأمصار.»[1]

وهذه الطرق العشر لا يزال –بحمد الله– أهل المغربين الأوسط والأقصى يقرؤون بها، ويروونها بأسانيدهم عن شيوخهم خلفا عن سلف، وإن كان هناك من اعترض على صحتها من المشارقة لعدم الاطلاع.

عنوان المخطوط:

إن العنوان المدوّن على طرة المخطوط الذي بين يدينا هو: «**الدرة المرضية في الطرق العشرية**»، ولم أقف –فيما اطلعت عليه من مصادر علم القراءات– على عنوان لمؤلَّف يشبه هذا العنوان، مما يعطينا أريحية في الحكم على صحة عنوان هذا الكتاب، فضلا عن أن المؤلف ذكر في مقدمته لكتابه هذا أنه اختار له هذا الاسم، فقال رحمه الله: «وسميته بالدرة المرضية في الطرق العشرية.». فهذا مما يزيدنا اطمئنانا إلى صحة العنوان المكتوب.

نسبته لمؤلفه:

أما عن نسبته للمؤلف: فعند الرجوع إلى ترجمة المؤلف –على شحها في المصادر– لا نجد مؤلَّفا منسوبا إليه بهذا العنوان، ولا أن له مؤلفا في القراءات أصلا، لكننا وبالعودة إلى المخطوط –دائما– نجد النسبة متحققة في موضعين:

1. في صفحة العنوان: حيث كتب ما نصه: «هذا الكتاب المسمى بالدرة المرضية في الطرق العشرية، لمؤلفه العلامة المقرئ الشيخ أحمد السنان التونسي رحمه الله ورضي عنه.».

ويزيد تأكيدا للنسبة ما في المقدمة أيضا، وهو قوله: «وبعد، فيقول الفقير إلى ربه الرحيم الرحمن، عبده أحمد السنان: إني لما رأيت طلبة التجويد تقاعدوا عن الطرق العشرية النافعية ...».

فهذا نص في نسبة الكتاب إلى المؤلف، وهذا يغنينا حتما عن البحث عن أدلة أخرى، تثبت صحة النسبة إلى هذا العَلَم المغمور، رحمة الله عليه.

أهمية المخطوط:

إن الكتب التي عنيت بالعشر النافعية كثيرة ولله الحمد، وقد ظهرت العناية بتحقيق كثير منها ونشرها في الآونة الأخيرة، فنشر على سبيل المثال كتاب التعريف للداني، ونظم ابن غازي التفصيل، وشروحه مما أعطى نفَسا

[1] كتاب التعريف ص 45– 50.

جديدا، وإبانة أخرى عن طرق لم يُعن بها خاتمة المحققين ابن الجزري رحمه الله في نشره، فصار هذا العلم بهذه الهبّة العلمية الجديدة محفوظا والحمد لله.

لكن الذي يدفعني إلى العناية بهذا المؤلَّف على تأخر زمانه أمور:

أولها: طريقة تأليف هذا الكتاب، إذ كانت طريقة بديعة مغايرة لما اعتاد أهل القراءات عموما، إلا المغاربة منهم، إذ عامتهم يذكرون في كتبهم الأصول ومذهب الرواة عنهم فيها على اختلاف طرقهم، ثم يتبعون ذلك ما اختلفوا فيه من مواضع الفرش وهي قليلة، ويختمون كتبهم أو منظوماتهم، لكن صاحبنا أبا العباس السنان أتى بطريقة جديدة استن فيها بالإمام أبي الحسن علي النوري الصفاقسي من قبل، حيث كان أول من استعملها في كتابه غيث النفع في القراءات السبع، فذكر الأصول ضمن الفرش، إذ رتب مصنفه على فرش السور كلمة كلمة، يتكلم عن أصولها وفرشها بتفصيل[1]، لكن صاحبنا أبا العباس زاد على ذلك بأن أورد الأصول في أول الكتاب فجمع بين الطريقتين.

فتيسر بهذه الطريقة أخذ الطرق العشرة النافعية على أفضل وجه، دون أن يفوت القارئ بها أي موضع، إذا اعتمد على هذه الكتاب.

وثاني الأمور: كون هذا المؤلف تونسيا، وهو أمر مهم للغاية، إذ غلب على الظن أن التونسيين لم تكن لهم عناية بالعشر الصغير، ولا رووها فضلا عن أن يؤلفوا فيها، فظهر هذا الكتاب ليدل على خلاف ذلك، وأن قراءهم كانوا ذوي عناية بها وبروايتها، بل بلغ الأمر بهم إلى التأليف فيها.

ومما يدل على أن أهل تونس قرؤوا بها، قول المؤلف في باب البسملة: «اعلم أن المأخوذ للأزرق بين السورتين من طريق العشر الصغير إنما هو السكت والوصل فقط، ...، وبهما قرأت عن جميع من أخذت عليه العشر الصغير.».

فقوله: «جميع» يدل على كثرة ووفرة من كان يقرأ بها المشايخ، والله أعلم.

وقد حاولت أن أستقصي من قرأ بها في تونس من الشيوخ، إلا أن المصادر التي تناولت تراجم علماء تونس عبر الأزمان قليلة، فضلا عن قراء القراءات منهم، بل إن أولئك المؤرخين ممن ليسوا أهل اختصاص لا يعرفون ما العشر الصغير، ولا الطرق النافعية، وقليل ما هم.

[1] يراجع لذلك الإمام علي النوري الصفاقسي ومنهجه في كتابه غيث النفع 110.

ومع ذلك فإنه جدير بالتنبيه إلى أن ثمة ثبت للشيخ البشير التواتي البجائي ثم التونسي شيخ الإقراء بها[1]، ذكر فيه أسانيده في القراءات فيه، إن ظفر به المرء ظفر بكنز عظيم قد يكشف حقائق كثيرة بهذا الصدد[2].

وثالث الأمور: هو اعتماد المؤلف في كتابه على مصادر هي نفسها التي يعتمد عليها علماء القراءات المغاربة، وأكثرها من مؤلفات علماء فاس ومراكش، مما يدل على اتفاق المرجعية وتوحد المصدرية، وسأذكر مصادره لاحقا.

وصف المخطوط:

نسختنا هي صورة ورقية للنسخة الأصلية، والتي هي بدورها عبارة عن كراسة حديثة الصنع على هيئة الكراريس المدرسية المستعملة في عصرنا، اتصلت بي هذه النسخة منذ أزيد من خمس عشرة سنة، أفادينها بعض إخواننا الأفاضل، وأصلها من مكتبة الشيخ المصلح نعيم النعيم[3] رحمه الله تعالى، وهي ملك له فيما يبدو، إلا أنها غير موجودة بمكتبته التي هي الآن محفوظة بمكتبة جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة.

---

(1) ترجمته في شجرة النور الزكية 415.

(2) ذكر هذا الثبت الكتاني في فهرس الفهارس ص231، وأخبر أنه يرويه عن مؤلفه بواسطة مكي بن عزوز الجزائري رحمه الله.

(3) «نعيم بن أحمد بن علي بن صالح النعيمي البسكريّ، ثمَّ القسنطينيّ. ولد – رحمه الله – في صائفة عام 1327هـ – 1909م ... انتقل إلى الزَّاوية المختارية بـ «أولاد جلاَّل»، ... أخذ الفقه وعلوم اللُّغة والتَّفسير والأصول وشيئًا من المنطق والفلك وغيرها. ... توجَّه إلى تونس (1343هـ – 1924م) إلى جامع الزَّيتونة، لكنَّه لم يطل المكث بها، ولم يواصل الدِّراسة وعاد إلى مسقط رأسه بعد نحو ستَّة أشهر لقلَّة ذات اليد ولعسرة وجدها ... زار [بعد ذلك] معظم مدن الجزائر وأريافها إلاَّ الصَّحراء الكبرى، فكان يتقلَّب بين القضاة والمشايخ والمفتين والمدرِّسين وخزائن الكتب والمخطوطات، فطفق يحفظ كلَّ ما يجده في طريقه لسيلان ذهنه وتمكُّنه من آلات العلم، ويقتني النَّوادر من الكتب والمخطوطات حتَّى اجتمعت عنده مكتبة عظيمة ....

وحين تأسَّست «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين» سنة (1931م) اشترك في اجتماعها التَّأسيسي كعضو عامل وتعرَّف على رئيسها عبد الحميد بن باديس وأصبح من دعاتها في ناحية الغرب الجزائري في مدينة الشّلف، وبقي له فيها الأثر الطَّيِّب والذِّكر الحسن في الدَّعوة إلى الله...

كلَّفته قيادة الثَّورة سنة (1958م) بمهمَّة المسامرات وهي توعية الجزائريِّين في تونس لدعم الثَّورة ولفت انتباه الإخوة التُّونسيِّين... فعاد إلى البحث والتَّنقيب عن كلِّ ما له صلة بالعلم وحنَّ إلى الطَّلب، وتتلمذ على أكابر علماء الزَّيتونة وخاصَّة في مادتي القراءات والحديث، وفي هذا الصَّدد ختم القرآن عدَّة مرَّات بالقراءات السَّبع...

حجَّ سنة (1961م)، ومرَّ على دمشق وحمص وبيروت والقدس والقاهرة ... باحثًا عن الكتب النَّادرة، ومتَّصلاً بالعلماء ... ، وقد تفرَّغ شيخ القرَّاء الشَّيخ عبد العزيز آل عيون السّود (ت1399هـ – 1979م) لإقرائه لما رأى فيه من الألمعيَّة، وكان قبلها لا يستقبل

وناسخها الذي كتب اسمه في آخرها هو محمد بجّة بالجيم المشددة كما هو واضح في آخر النسخة، كتبها ثم قابلها على أصلها، وتمت المقابلة ليلة الثلاثاء عاشر محرم عام 1382 للهجرة، الموافق للثاني عشر من شهر جوان (يونيو) سنة 1962، بمدينة تونس.

ومساعده في المقابلة هو مالكها الشيخ نعيم النعيم، لكن على اسمه شطبا لا أدري سببه، ورغم ذلك فيمكن قراءته من تحت الشطب لمن دقق النظر.

وخط الناسخ ذو مسحة مغربية في لمسة مشرقية كإعجام الفاء بنقطة من فوق والقاف بنقطتين، واضح بين في عمومه وليس بالجيد، به أخطاء إملائية قليلة أكثرها متأول.

يقع الكتاب في سبع عشرة ورقة، في ما يعادل ثلاثا وثلاثين صفحة، في كل واحدة منها ثلاثة وعشرين سطرا، قد تُرك في أعلاه وأسفله ومن جهة اليمين هامش يحوي استدراكات غير قليلة سقطت أثناء النسخ الأول، وكذا بعض التعليقات.

الصفحة الأولى تضمنت عنوان الكتاب واسم مؤلفه، وتعليقا كأنه من صنع الناسخ فيه إشارة إلى مصدر ترجمة المؤلف رحمه الله، وأما أوله فقول المؤلف: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى صحبه، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد: فيقول الفقير إلى ربه الرحيم الرحمن، أحمد السنان: إني لما رأيت طلبة التجويد تقاعدوا عن قراءة الطرق العشرية النافعية، وتغافلوا عن ذلك لقلة كتبها، ولعدم من يأخذونها عليه، فأردت أن أجمع فيها كتابا لم أسبق بمثاله، ...».

وآخره: «هذا آخر ما أردنا، وتمام ما قصدنا، لأنا أردنا الاختصار، وعلى ما ذكرنا الاقتصار، والصلاة الدائمة والتسليم، على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. انتهى تتمة.».

ثم ذكر بعده تاريخ الانتهاء من تأليفه، ولكن، ثمة تاريخان مذكوران متداخلان هما: «غرة ربيع الأنور من سنة واحد وعشرين ومائتين وألف.»، و "أواسط ثاني الجمادين عام 1254 خمسة وأربعين ومائتين وألف.».

أحدًا، فأخذ عنه القراءات الأربعة عشر ... [وقد] كان لا يأبه بنفسه ولا يعتني بها حتَّى تعاورته الأمراض فأقعدته ولم تزل به حتَّى وافته المنيَّة سنة (1973م) في قسنطينة ودفن بها.». مجلة الإصلاح السنة الرابعة، عدد22 ص37.

والأقرب إلى ترتيب النص شكلا هو التاريخ الثاني، لكنه تاريخ متأخر عن وفاة المؤلف بسنتين، والتاريخ الأول أقرب في نظري، لكونه في حياة المؤلف، وأبعد عن وفاته رحمه الله تعالى، ويكون بذلك التاريخ الآخر هو تاريخ النسخة التي كتب عنها المخطوط الذي بين يدينا. والله أعلم، يدعم ذلك قول الناسخ: «هكذا وجدناه بالنسخة المنقول عنها.».

محتوى الكتاب، ومنهج مؤلفه:

الكتاب حوى تفصيلا دقيقا لاختلافات الرواة الأربعة عن الإمام نافع رحمه الله، وهم ورش وقالون وإسحاق وإسماعيل، من طرقهم العشرة كما مضى بيانه، فاقتضى الأمر عند المؤلف في آخر مقدمته التي كانت مختصرة مقتضبة، أن يبين هذه الطرق، فعقد بابا عنوانه: «باب ذكر أسماء رواة نافع وذكر أسماء طرقهم على الترتيب المأخوذ به.»، وختم هذا الباب بجدول توضيحي.

ثم أردف ببابي الاستعاذة والبسملة على التوالي، ذكر فيهما اختلافات الرواة فيهما، ولم يمض على الوجه المعروف عند القراء في ذكر الاختلافات على سائر أبواب الأصول، ولكنه أفرد أصول كل راو من الرواة على حدة، فبدأ بورش ثم قالون ثم المسيبي ثم إسماعيل، يأتي في ذكره على أصول كل طريق من طرق هؤلاء الرواة، بادئا بطريق الأزرق عن ورش ثم العتقي ثم الأصبهاني، آتيا بعده بطريق أبي نشيط عن قالون ثم الحلواني ثم القاضي، وبعده بطريق محمد بن إسحاق المسيبي عن أبيه، ثم ابن اسعدان، وبعده بطريق أحمد المفسر عن إسماعيل، ولم يذكر طريق ابن عبدوس، فلا أدري أسقط ذلك من النساخ أم من الأصل، والذي ظهر لي هو الأخير.

ثم أتبع المؤلف ذلك بذكر فرش الحروف بترتيب المصحف، حسب السور والآيات، واقفا عند كل موضع فيه اختلاف بين الطرق، بل زاد على ذلك أن ذكر مواضع شتى ليس فيها اختلاف، تنبيها على بعض أحكامها ليس إلا.

ثم أشار في الخاتمة إلى ما جرت به العادة عند المغاربة عند ختم القرآن، من إلحاق قراءة ابن كثير المكي بالعشر النافعية لأجل التكبير، فقال: «جرت العادة بالمغرب أن من وصل إلى سورة ﴿**وَالضُّحَى**﴾ بالطرق العشرية النافعية، وأراد الختم، فيأتي بقراءة المكي، ثم بعد أن يستوفي من أوجه الآية للعشر، فيأتي بالتكبير، بشرط أن يكون عارفا بقراءة المكي، وبكيفية أوجه التكبير، ليكون ذلك مناسبا لختم القرآن العظيم، ثم يجري هذا إلى آخر الناس،

ثم يكمل إلى أن يصل إلى ﴿**الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة 5] ليكون ذلك من أفضل الأعمال.»، ثم أورد عددا من الأدعية المناسبة لختم القرآن، وفي الأخير ختم كتابه على عجل بالصلاة والتسليم على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

وأسلوبه في ذلك يدل على مُكنة من علم القراءات ومن اللغة العربية في العام إلا ما ندر من الأخطاء التعبيرية التي قد يبررها حب الاختصار وعدم التطويل، ومع ذلك فقد رتّبت خللا بينا واضحا، والله المستعان.

هذا، وإن نص الكتاب في هذه المخطوطة يعد كاملا، إلا ما وقع من سقط أراه من الأصل الذي نقل عنه الناسخ، لأن الكتاب مصحح ومقابل كما أسلفت، وبه استدراكات وتعليقات وتنبيهات على مواضع عدة.

بيْد أن النسخة المنقول عنها –حسبما ظهر لي– هي نسخة رديئة، إن لم تكن الرداءة في أصلها الأول، لوجود أخطاء أسلوبية ونحوية غير قليلة، يتنزه عن مثلها طلبة العلم، فضلا عن العلماء.

واعتبرت أن نسختنا هذه نسخةً حفيدة لأمرين:

1. وجود تاريخين متباينين في آخر الكتاب، أحدهما قبل وفاة المؤلف والآخر بعده.
2. وجود سقط في النسخة المنقول عنها في مواضع تدل على أنها لم تقابل أو لم يعن بها العناية اللائقة، هذا إذا ثبت لدينا حسن مقابلة نسختنا وهو المأمول، والله أعلم.

مصادر الكتاب:

بعد الاطلاع على الكتاب، وإنعام النظر فيه بعين ثاقبة، تبين أن المؤلف اعتمد على نوعين من المصادر:

أولا: مصادر شفوية: ولها نصيب كبير، وهي ما تلقاه المؤلف عن شيوخه الذين قرأ عليهم العشر النافعية، وقد صرح بذلك في موضع سبق الإعلان عنه، وذلك حين قوله: «اعلم أن المأخوذ للأزرق بين السورتين من طريق العشر الصغير إنما هو السكت والوصل فقط، لأنا نقرأ له من طريق ابن سيف والنحاس الأكبر، ولا بسملة لهما، وبهما قرأت عن جميع من أخذت عليه العشر الصغير.».

وفي موضع آخر أيضا عند قوله تعالى: ﴿**ءَءَامَنتُمْ**﴾ [الأعراف 122] قال: «قرأ الجميع بالاستفهام؛ وبتسهيل الثانية؛ وإبدال الثالثة، ويزيد العتقيُّ عليهم بقراءة الخبر، بمعنى أنه يسقط الأولى؛ ويحقق المسهلة، فيحصل له وجهان، وبهما قرأت له؛ مع تقديم الخبر.».

ثانيا: مصادر كتابية: وهي كتب علم القراءات، فمنها ما أفصح عنه، ومنها ما لم يفصح، وقد يذكر أسماء أصحابه، وقد لا يفعل، وفيما يلي تفصيل ذلك:

1. تفصيل عقد الدرر في طرق نافع العشر[1]، وهو نظم العلامة محمد بن أحمد بن علي ابن غازي أبي عبد الله المكناسي (ت 919هـ) رحمة الله عليه[2]، أحد كبار علماء زمانه في القراءات وسائر العلوم، وهذا النظم هو عمدة المغاربة في رواية العشر النافعية، فعنايتهم به فائقة، واهتمامهم به بالغ، فهو عندهم كالشاطبية لمن قرأ بالسبع، وقد كان أبو العباس السنان معتمدا عليه في كتابه، واستدل به مرات عدة، يصرح أحيانا، وأحيانا أخرى يقول: «قال بعضهم: دون نسبة.

2. تقريب المنافع في الطرق العشرة لنافع[3]، وهي قصيدة لامية على وزن الشاطبية، من نظم الشيخ محمد بن محمد بن أبي جمعة الوهراني المعروف بـ: شقرون (ت929هـ) رحمه الله[4]، نظم فيها كتاب التعريف للإمام الداني رحمه الله تعالى، أورد المؤلف بيتا واحدا منها، لكنه لم ينسبه إلى ناظمها بل اكتفى بقوله: «قال بعضهم»، ولعله لم يقف عليها، فنقل عنها بالواسطة.

3. أنوار التعريف لذوي التفصيل والتعريف، وهو كتاب في العشر النافعية، وضعه مؤلفه محمد بن أحمد بن أبي القاسم ابن الغازي الجزولي الحامدي[5]، وهو غير ابن غازي الأول، لبيان الأوجه التي رواها عن شيوخه مما ليس في تفصيل ابن غازي[6]، فكأنه تكملة له وبيان وشرح، وقد نقل عنه المؤلف في موضع واحد ناسبا الكلام إلى ابن غازي ظنا منه أنه لابن غازي صاحب التفصيل، حيث قال: « قال ابن غازي (رحمه الله) في أنوار التعريف: «ولم

(1) قراءة الإمام نافع عند المغاربة 4/ 77.
(2) توسع في ترجمته الدكتور عبد الهدي حميتو، ينظر قراءة الإمام نافع 4/ 12 وما بعدها.
(3) ينظر: قراءة الإمام نافع 3/ 382.
(4) تنظر ترجمته في قراءة الإمام نافع 179/4
(5) قراءة الإمام نافع 4/ 300.
(6) أنوار التعريف 19.

آخذ فيه بالتوسط ولا بالقصر لأحد من أهل العشر، وأما الألف التي بعد اللام فليس لنا فيه رواية إلا بالقصر.»، وهذا النص نفسه في أنوار التعريف للجزولي[1].

كما نقل عنه دون بيان بيتا رواه عن شيخه محمد بن يوسف أبي عبد الله التملي[2]، وهو قوله:

وضم ميم الجمع للمفسر ونحل إسحاق وجمّال حري[3]

وقد يكون نقله من مصدر آخر.

4. الشيخ مسعود بن محمد جموع[4]، صاحب كفاية التحصيل في شرح التفصيل، ومعونة الذكر في الطرق العشر، أشار إليه دون ذكر المصدر الذي نقل عنه منه، وهو معونة الذكر، فنقل عنه تقديم الإشباع على التوسط في مد (عين) في فاتحة مريم والشورى، قال المؤلف: «المأخوذ به لأهل العشر من فاتحة مريم والشورى الإشباع والتوسط مع تقديم الإشباع قاله الشيخ جمّوع.»، وهو في المعونة بمعناه، وإن كان ثمة اضطراب بين النُّسخ في أيهما المقدم كما بينه المحقق[5].

وكتاب المعونة كما يبدو كان مصدرا أساسيا من مصادر المؤلف، لغزارة المادة العلمية فيه، حيث أسهب مؤلفه في بيان الخلاف بين الطرق العشرة على وجه التفصيل والتحرير[6] والتعليل لها، وسرد الأدلة من كلام المصنفين ونظومهم، بل ونظم مؤلفها مسائل عدة، نقل بعضا منها السنان، كما هو الشأن في قول جموع:

واهمز لحرمي والاصبهاني كالوصل فيه ثم خذ بياني[7]

وقد كان هذا الكتاب حاضرا بتونس لوفرة نسخه بها، سواء في المكتبة الوطنية والعبدلية[8].

---

(1) ص 39

(2) ترجمته في: قراءة الإمام نافع 4/ 93.

(3) أنوار التعريف 29.

(4) ترجمته في شجرة النور الزكية 327.

(5) معونة الذكر 553

(6) قراءة الإمام نافع 4/ 103.

(7) معونة الذكر 639.

(8) ينظر قراءة الإمام نافع 101، الهامش (2).

5. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، وهذا الكتاب أشهر من أن يعرف به، وقد أشار إليه المؤلف في موضع واحد فقط في باب الاستعاذة دون الإفصاح عن ذكر اسم الكتاب حين قال: « وأنه على سنن القراءة، إن سرا فسِرٌّ، وإن جهرا فجهر، كما قاله ابن الجزري، والجهر أولى، وقيل أخذ السر عن المسيبي، ولكنه لم يرتضه.»[1].

[1] ينظر النشر 1/ 198-199.

الخاتمة:

لقد أبدت دراستنا العناية بالمدرسة التونسية، التي لم تكن بمعزل عن نظيراتها الجزائرية والمغربية في الاهتمام بالقراءات عموما، والعشر النافعية خصوصا، ومدى تعلق المدرسة التونسية بالمدرسة المغربية نظريا وتطبيقيا وإسنادا، الأمر الذي تجسد وظهر جليا في ظهور عالم تونسي عُني بالتأليف في قراءة الإمام نافع رحمه الله.

وإنه لمن المهم جدا أن يعتني الباحثون بإجازات العلماء التونسيين، وفهارسهم التحصيلية، لبيان ما انطوت عليه من نفائس الأسانيد، في القراءات والتجويد، وما انضوى تحتها من ذخائر تراجم العلماء العاملين، والأئمة المسندين.

هذا وأسأل الله أن يعين على تحقيق هذا الكتاب، بتيسير الظفر بنسخة أفضل من التي بين يدينا، وأن يهيئ للناس الوقوف عليه، وصفّه في مكتباتهم، إنه هو الموفق سبحانه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، أحمد بن أبي الضياف، ت: لجنة من وزارة الثقافة، ط (1999)، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان.

2. الإصلاح، العدد 22، السنة الرابعة سبتمبر/أكتوبر 2010، مجلة تصدر عن دار الفضيلة، الجزائر.

3. الإعلام بسندي إلى بعض الأعلام، أحمد قرطام، ط1 (1438هـ-2017م)، المركز الوطني للبحوث والدراسات، فلسطين.

4. الإمام علي النوري الصفاقسي ومنهجه في كتابه غيث النفع في القراءات السبع، محمد لقريز، إشراف: محمد بوركاب، رسالة ماجستير بقسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر. نوقشت جوان 2006.

5. أنوار التعريف لذوي التفصيل والتعريف، الجزولي الحامدي محمد بن أحمد، ت: عبد الحفيظ قطاش، ط1 (1425هـ-2004م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

6. تاريخ معالم التوحيد بن القديم والجديد، محمد بن الخوجة، ت: الجيلاني الساحلي، ط2 (1405هـ-1985م)، الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

7. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ط1 (1406هـ-1986م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

8. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

9. طبقات القراء والمقرئين بإفريقية وتونس، الهادي روشو، ط1 (1439هـ-2018)، دار سحنون، تونس.

10. فتح الملك العلم في تراجم بعض علماء الطريقة التيجانية الأعلام، الحجوجي محمد بن محمد، ت: أنور ترفاس، ط1 (2018)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

11. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، الكتاني عبد الحي، ت: إحسان عباس، ط2 (1402هـ-1982م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

12. قراءة الإمام نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، ط(1424هـ-2003م)، وزارة الأوقاف، المغرب.

13. كتاب التعريف في اختلاف الرواة عن نافع، أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد، ت: محمد السحابي، ط2 (1438هـ-2017م)، مطبعة وراقة الفضيلة، الرباط، المغرب.

14. كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، ط1 (1425هـ-2005م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

15. معونة الذكر في الطرق العشر، جمّوع مسعود بن محمد، ت: أسامة سليم، إشراف: محمد بن سيدي الأمين، رسالة ذكتوراه، بقسم القراءات، كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، السعودية، نوقشت 5 جمادى الآخر 1439.

16. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري محمد بن محمد، ت: زكريا عميرات، ط1 (1418هـ-1998م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

روابط:

17. إجازة الشيخ الحسن محمد ماديك على ملتقى أهل التفسير: https://vb.tafsir.net/tafsir22733/#.XMW2R4lKjIU

18. مقال أسانيد القراءات المتواترة في تونس للدكتور فتحي العبيدي، على ملتقى أهل التفسير: https://vb.tafsir.net/tafsir35823/#.XMS-BolKjIU

https://vb.tafsir.net/tafsir22733/#.XMW2R4lKjIU